

الطفل في أجندة السياسات الحضرية
-مدينة قسنطينة نموذجاً-

The Child in Urban Policy Agendas: The City of Constantine as a Model

بغريش ياسمين¹، فروج ميلود²

¹ مخبر مجتمع المدينة، جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري (الجزائر)، yasmina.beghriche@univ-constantine2.dz

² مخبر مجتمع المدينة، جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري (الجزائر)، miloud.feroudj@univ-constantine2

تاريخ القبول: 2024/08/12

تاريخ الاستلام: 2024/07/06

ملخص: تهدف الدراسة إلى البحث في مكونات السياسات الحضرية ومدى تناولها للطفل ومجال اهتماماته خاصة فيما يتعلق بالتخطيط الحضري والحق في المجال المدني.

ولهذا الغرض سعت الدراسة الراهنة إلى البحث في حيثيات هذه السياسة فيما يتعلق بحياة الطفل والإجابة على السؤال التالي: إلى أي مدى تسعى السياسات الحضرية إلى توفير حياة حضرية كفيلة بضمان حياة ذات جودة أفضل للطفل، حيث تم اعتماد المنهج الوصفي من خلال وصف واقع حال الطفل في المدينة الجزائرية من جهة وتحليل محتوى السياسة الحضرية في مدى تناولها للطفل وحيثيات حياته في المدينة الجزائرية.

وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها أن السياسة الحضرية للمدينة الجزائرية سجلت اهتماماً متزايداً بمجالات الطفل في الوسط الحضري وأن البدايات التي حققتها على الواقع بالنسبة لمدينة قسنطينة مثلاً، لاقت استحساناً وقبولاً، وفتحت آفاقاً واعدة بقدرتها على تحقيق نتائج مرضية للأسرة والطفل والمواطن عامة

الكلمات المفتاحية: السياسات الحضرية؛ الطفل؛ المدينة؛ المجال الحضري؛ جودة الحياة؛ قسنطينة.

Abstract : The study aims to investigate the components of urban policies and the extent to which they address children and their areas of interest, especially with regard to urban planning and the right to the urban sphere. For this purpose, the current study sought to investigate the merits of this policy with regard to the life of the child and answer the following question: To what extent urban policies seek to provide an urban life capable of ensuring a better quality life for the child, where the descriptive approach was adopted, observation technology and analysis were adopted to translate the reality of the phenomenon.

The study concluded with several results, the most important of which is that the urban policy of the Algerian city has registered an increasing interest in the areas of children in the urban environment and that the beginnings it has achieved on the ground for the city of Constantine, for example, have been well received and accepted, and have opened promising prospects for its ability to achieve satisfactory results for the family, children and citizens in general.

Keywords: urban policies; child; city; urban space; quality of life

مقدمة :

بالرغم من أن الطفل حامل لواء الأمة ورمز المستقبل، إلا أنه يعتبر يمثل الحلقة الأضعف في المجتمع بالمقارنة مع باقي الفئات العمرية، إذ انه يعجز عن المطالبة بحقوقه ورسم معالم حاضره ومستقبله.

وبالتالي فكل مكونات المجتمع مطالبة بتجهيز أرضية سليمة تتضمن رسم الحاضر واستشراف المستقبل بما يتيح للطفل حياة كريمة في كنف أسرته، مدرسته، مجال لعبه، رفايته وكل المعالم التي تقع على عاتق المجتمع المطالب بضمان جودة حياته.

فالمجتمع اليوم يعيش على وقع تغييرات متسارعة، مست كل السياقات المجتمعية الاقتصادية، السياسية، الثقافية وخاصة التكنولوجية التي قلبت واقع حياة الأفراد رأساً على عقب، فبات الصراع لمواكبة الأحداث يشكل السمة الحياتية الغالبة على المجتمع الحضري.

ومن منطلق أن السياسة الحضرية تُعنى باليومي الحضري لمجتمع المدينة، وتسعى إلى وضع استراتيجية تنظم حياة الأفراد في الوسط الحضري وتعمل على تجسيد سياسة تنمية أساسها الاعتناء بالموارد البشري، وتحسين علاقة الإنسان بالمجال ومنح الأولوية للفئات الهشة على غرار المرأة والطفل، فقد بات من الضروري تسليط الضوء على هذا الجانب ومعرفة جوانب الاهتمام الذي تبديه هذه السياسة بمجال الطفل في المدينة.

وعليه فإن وجوب إعداد سياسة حضرية تقوم على إعداد الفرد، وتوفير إطار حياتي طبيعي آمن للطفل لمجابهة الضغوطات الناجمة عن التغيرات التي فرضها التحول الرقمي بصيغة تتضمن الأخذ بيده، من أجل ولوج آمن في المجتمع الرقمي من جهة، ومن جهة أخرى العمل على الحفاظ على قدسية حياة البراءة والنمو المتوازن للطفل وحقه في اللعب والتعلم والمراقبة التي تكفلها له كل الشرائع والديانات والمواثيق الدولية.

كل ذلك لن يكون إلا في إطار ضمان مجال حياتي حضري، تكفله مؤسسات التنشئة الاجتماعية الرسمية، تصوغه السياسات الحضرية ويكون هدفها نمو متوازن للطفل بين متطلبات الرقمنة وحتمية الطبيعة الانسانية.

فالمطلوب اليوم هو توفير وتنسيق جملة من المتطلبات تتمحور حول وضع ترسانة قانونية وتشريعية تتوافق والمواثيق الدولية لحماية حقوق الطفل، عدا عن توفير سياسة حضرية متكاملة ومتوازنة تقوم على إعداد مجال حضري متميز يساعد على تحقيق نمو طبيعي للطفل تتيح له التحرك واللعب، دون خوف ودون عوائق أو حواجز، بيئة صحية، نظيفة وآمنة، حيث تقع المهمة الأصبغ على عاتق القائمين على السياسات الحضرية، ولهذا الغرض فإننا نطرح التساؤل التالي: إلى أي مدى تسعى السياسات الحضرية إلى توفير حياة حضرية كفيلة بضمان حياة ذات جودة أفضل للطفل؟. وبالتالي فإننا نبحث في مكونات السياسات الحضرية كيف تناولت الطفل بكل تناقضاته على اعتبار أنه الحلقة الأهم والاضعف في ذات الوقت، هل تتم مراعاة احتياجات الطفل في التخطيط الحضري؟ وكيف يتم ذلك الآن على اعتبارات التغييرات الطارئة على حياة طفل المدينة اليوم؟ كل هذا لغرض العمل على إبراز مكانة الطفل في السياسة الحضرية، إبراز حاجيات الطفل في المدينة، إضافة إلى عرض بعض السياسات التي تلي حاجيات الطفل وإقرار حقه في المدينة.

ولالإجابة على الإشكالية المطروحة وتحقيق الهدف المنشود تم اعتماد المنهج الوصفي من خلال وصف واقع حال الطفل في المدينة الجزائرية من جهة وعرض مختلف الجهود الميدانية التي سعت من خلالها الدولة عبر السياسة الحضرية لتحسين جودة حياة الطفل في المدينة الجزائرية.

1. مفاهيم الدراسة: نظراً للأهمية البالغة للمفاهيم في الحقل السوسيوولوجي تم اعتماد المفاهيم التالية:

1.1 مفهوم الطفل: تبنت اتفاقية حقوق الطفل هذا المفهوم على أساس أن "الطفل هو كل إنسان لم يتجاوز 18 عاماً لم يكن بلغ سن الرشد بموجب القانون الذي تسنه كل دولة. (اتفاقية حقوق الطفل، ويكيبيديا) اتفاقية حقوق الطفل.

فالرؤية التي تبنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة، تقوم على الاعتراف بخصوصية الطفل وحقوقه ومكانته وانه فرد كامل الحقوق، له امكانيات وطاقت كامنة، وقدرات تمكنه من المعرفة والإحساس والتعلم، وحاجيات تتعدى الحاجيات البيولوجية. (كركوش، ف، 2011) وللطفل أهمية بالغة ومكانة جد مهمة في حياة كل المجتمعات، حيث بات الاهتمام به معيار من معايير التقدم والتحضّر، لأن الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان على اعتبار أن أطفال اليوم هم رجال الغد والثروة البشرية لمستقبل البلد وصلاح المجتمع. وأن طبيعة الطفل مرنة وقابلة للتشكل وبالتالي يمكن غرس القيم التربوية والتنشئة السوية بسلاسة.

2.1 مفهوم السياسة الحضرية: إن السياسة الحضرية في مفهومها العام هي القرارات التي تتخذها السلطة القائمة على شؤون الأفراد والجماعات من أجل التسيير الحسن للوحدة الحضرية، والتوزيع العادل للقيم المادية والإنسانية لتحقيق الأهداف المشروعة والمرجوة لكل جماعة إنسانية في المدينة أو الوسط الحضري بمفهومه الواسع من حيث أسلوب وديناميكية الحياة وتعقيدها بكل وسائلها ومتطلباتها. (بغريش، 2020)

فالسبب الحضرية ضرورة استدعتها الوقائع والأوضاع المتردية القائمة، حيث تتجلى وظائفها في دراسة وتشخيص الوضع القائم وتقديم الاستشارات ونتائج الدراسات الميدانية إلى الحكومات والسلطات المختصة في تسيير شؤون المدن بشأن عملية وجوه إعداد السياسات الحضرية الوطنية، لضمان تحقيق أهداف استراتيجية، ضمن خطط عمل شاملة متكاملة تضم كل الفاعلين والشركاء الذين لديهم القدرة والطاقة للتأثير الفعال في السياسات الحضرية وعمليات صياغتها وتنفيذها والتصدي لآثار التحضر غير المدروس، وتحدي مخاطر العولمة التي تعد أهم ما يجابه القائمين على السياسات الحضرية.

وبالتالي فأمر تحقيق مدينة فعلية، منسجمة، مستدامة، وتنافسية يتطلب سياسة حضرية، قوامها الإشراف والتشارك والتشارف واستشراف المستقبل بناء على التوافق من أجل التوازن، وهذا يستوجب إضافة إلى ما سبق تقديمه، اتخاذ مجموعة من المقاربات كاعتقادات وقوانين يتبناها المنتج والمستهلك للمجال المدني.

فالفهم، المعرفة، التشارف والتشارك، تعتبر مداخل لإعداد الأفكار وأساس لإعداد المجال، وبالتالي التأسيس لتعمير يسهم فيه الجميع ويمنح المواطن حق المشاركة الفعلية في إعداد المشروع ويمكنه من التفاعل في اتخاذ القرار والتأثير في بلورة التوجهات المتعلقة بالإنتاج والتدبير، ويرسخ الاحترافية في قطاع التعمير ويطور التخصص في ميدان التنمية الحضرية.

بالإضافة إلى كل ذلك يتم التركيز على الجانب الاجتماعي وتناول الخصائص السوسيوثقافية في تناولات السياسات الحضرية، حيث أن بناء المدينة لا يقوم على بناء المجال ولكن الأهم من ذلك هو بناء الإنسان وتخطيط علاقاته بالمكان.

2. الطفل والحق في المدينة:

انطلاقاً من المبادئ العشرة لحقوق الطفل التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة، والتي تتضمن في شقها الاجتماعي حق الطفل في الأمن والتعليم والعلاج والرعاية والوقاية والحماية من التمييز والأولوية في المساعدة الكوارث والحروب، وبناء على أن أكثر من 51% من سكان الوسط الحضري هم من الأطفال. (سبوي، م والديب، غ، 2017: 59)

فإن المجتمع الحضري يقع عليه جزء كبير في صياغة القوانين والتشريعات التي تتوافق مع هذه المبادئ، خاصة وأن فئة الأطفال تشكل الغالبية العظمى والفئة الأكثر هشاشة في كل مجتمع.

وقد تُرجمت هذه المعطيات في صيغة أدبيات المنظمات الدولية في ما أُصطلح عليه بالمدن الصديقة للطفل، حيث انتهجت بعض الدول هذا المنحى. وتشير دراسات منظمة اليونيسيف إلى أن حوالي 10/6 أطفال يعيشون في المدن الآن، وقد شاع استخدام مدن صديقة للأطفال تحت مظلة الأمم المتحدة التي دعت إلى تبني هذا التوجه والذي بدأت بعض الدول فعلاً في تنفيذه للتقليل من المخاطر الحضرية التي أدت الطفل وحرمته من حقوقه المشروعة واستبعدته من المجال المدني الذي ينبغي أن يكون منه وإليه.

فإنشاء مدن صديقة للطفل يستدعي إعادة تخطيط وتوجيه المدن وتعميرها من منظور الاستجابة لحاجيات الطفل ومتطلباته وإدماجه على اعتبار أنه شريك أساسي في المدينة حاضراً ومستقبلاً، وبكل بساطة فإن مدينة تخدم الطفل هي بالتأكيد مدينة تخدم الجميع، لأن سعادة الطفل هي سعادة للجميع، ومن هذا المنطلق تم الدعوة إلى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار ما يلي:

- تهيئة الظروف الصحية الضرورية، بالحق في الماء والهواء والشمس لأجل نمو صحي طبيعي آمن.
- توفير مساحات خضراء وفضاءات لعب آمنة نظيفة وقرية من محيط البيت لممارسة نشاط وحركية تساهم في نموه خارج محيط الجدران الداخلية والاسوار المسيجة التي رُجَّحَ به فيها، بداعي تربيته وحمايته من العنف الخارجي.
- تهيئة بيئة الطفل عن مخاطر السيارات والشاحنات وتعزيزها بمسارات آمنة للدراجات وعربات الأطفال.
- تصميم مجال الطفل بصيغة تسمح له بالتحرك باستقلالية لكن بمأمن تحت نظر الأهل.

وتؤكد مختلف الدراسات أن المدينة غالباً ما يتم تصميمها وتخطيطها وفق رؤية تخدم البالغين لا الأطفال، فمن تصميم المسكن إلى الشارع، الحدائق والملاعب والمتاجر كلها وغيرها تصب في صالح الكبار لأنهم المستهلك الأكبر، وقد ذهب في هذا السياق بعد المدن إلى التأكيد على أن كلفة جعل المدينة ملائمة للأطفال ليست في تناول الجميع، إذ أن البالغين يجلبون مكاسب اقتصادية صافية لمدمهم، على عكس الأطفال التي تكبد تلك المدن خسائر صافية أيضاً، فالأطفال لا يقومون - بأنفسهم - بمشتريات كبيرة الحجم، كما لا يدفعون ضرائب. بجانب ذلك، قد تشكل الميزانية المخصصة

للمدارس التي يتلقون فيها العلم وجه الإنفاق الأكبر للمجالس البلدية والمحلية في الولايات المتحدة، ومن بين النماذج الواضحة على ذلك ما حدث في فيلادلفيا، عندما تم تحويل مدرسة ثانوية للتعليم الفني إلى مطعم راق.

وبالمثل، تغلق السلطات في بعض المدن الفنلندية الملاعب المخصصة للأطفال في المنتزهات العامة، لتحاشي الاضطرار لأن تنفق عليها الأموال الضرورية لمواكبة أحدث متطلبات الأمن والسلامة فيها.

وبالتالي فإن تخطيط وتشديد مدن صديقة للأطفال ضرورة تستدعيها الظروف العالمية المتغيرة، حيث تزداد الحاجة للاهتمام بالفئات الهشة وعلى رأسها الطفل وهي مدن تؤمن بإمكانات الطفل، وتعمل على دعمه وتحفيزه وتنمية قدراته، والاعتناء به صحياً وبيئياً واجتماعياً، من خلال ارساء قواعد وقوانين تشريعية وحضرية لحماية والحفاظ على ممارسة حقوقه في اللعب والتعلم والنمو السليم.

أما من المنظور البيئي فإن المدينة المثالية، هي المدينة التي تتيح للأطفال أكبر قدر ممكن من الحركة والاستقلالية والأمن والتواصل مع مختلف الفعاليات والأماكن والافراد بطريقة سلسة ومستمرة وآمنة. (المعهد العربي لإنماء المدن 2014).

ويرى المفكرون أن الأطفال، مثلهم مثل البالغين، يعكسون التنوع اللاهائي للحياة والثقافة والسن والعرق والجنس والخبرة والطابع ومستوى القدرة والحب والكره، ويتأثرون بشكل مختلف بالبيئات وعمليات التغيير البيئي.

3. مجالات الطفل في صميم برامج السياسات الحضرية:

وفي هذا السياق يدعو بيان سالزبورغ عن الطفل في المدينة، صحة، حداثق ولعب والمستوحى من وعد سيدني إلى ضرورة العمل على أن أطفال العالم ينبغي أن يكونوا قادرين على الاستفادة من الطبيعة اينما كانوا حيث يتعلمون- ويلعبون.

لذلك ندعو القادة وأصحاب المصلحة الى ضمان تمتع جميع الأطفال بالحق في اللعب الآمن والحر في فضاء غني بعناصر الطبيعة ولا يبعد أكثر من عشر دقائق سيراً على الأقدام من المكان الذي يعيشون فيه، ولتحقيق ذلك نحتاج الى سياسات وممارسات واستثمارات تعني ما يلي:

- تعتمد المدن على المناظر الطبيعية المحيطة والمناطق المحمية لتوفير خدمات النظم الايكولوجية الحاسمة للسكان مثل الهواء النظيف والمياه النظيفة والتنوع البيولوجي.

- إضفاء الطابع الشخصي على الطبيعة من خلال الثقافة والقصص والفن مما يمكّن من بناء ودعم الهوية والتباهي بالانتماء الى المكان وتحقيق الرفاهية الاسرية والاجتماعية والتماسك الاجتماعي. (قانون سالزبورغ، 2019)، وبالتالي، إنّ رفع شعار "مدن أفضل من أجل حياة أفضل"، (فاكا جونز، س، وسري الدين ن، 2023)، يحتم على راسمي السياسات استغلال الخبرات المتاحة في مجال التخطيط الحضري بشكل تام، وإشراك تنظيمات المجتمع المدني والخواص في تصميم وتخطيط المدن وتصميمها وإدارتها بطرق تسهم في توفير حياة صحية للطفل وحمائه من مختلف الاخطار المحدقة به، لتحسين جودة حياته وإشراكه في مختلف المناسبات لدججه في المجتمع وتأهيله في مختلف مسارات التمكين ليكون مواطناً واعياً، نافعاً ومنتجاً.

4. واقع حياة الطفل في المدينة الجزائرية:

إن التغيرات المتعددة والمتسارعة التي يعيشها المجتمع البشري والتي مست كل السياقات خاصة في جانبها السوسيو- ثقافي لم يسلم منها الطفل في الوسط الحضري، حيث أن الطفل المقيم في المدينة يعاني من قلة الحركة وتقييد حريته، التي ينبغي أن يتمتع بها حتى يتعلم وينمو بسلام، إذ أصبح أسيراً بين جدران البيت خوفاً من خروجه إلى الشارع، فقد يتعرض للعنف أو الاختطاف والاعتداء خاصة في ظل تنامي جرائم اختطاف واغتصاب الأطفال بشكل غير مسبوق، نتيجة تنامي جرائم اختطاف واغتصاب وقتل الاطفال وتعرضهم للعنف.

وقدم محافظ الشرطة ياسمين خواص، رئيسة مكتب الفئات الهشة بمديرية الأمن الوطني إحصائيات التسع أشهر الأخيرة لسنة 2021، والتي سجلت 2226 حالة عنف ضد النساء و5939 حالة عنف ضد الأطفال

غير أن احتجاز الطفل في المنزل لم يكن الخيار الأفضل له، حيث صار عبداً للفضاء الافتراضي، فكل تحركاته محصورة في التجول بين محتويات الهاتف، اللوح الإلكتروني أو الكمبيوتر، مما جعله عرضة لمختلف العلل النفسية والجسدية وأمراض العصر كالسمنة، وامراض العيون، التوحد، وصعوبة في الفهم والإدراك والتواصل الاجتماعي حسب ما توصلت إليه العديد من الدراسات.

وبعدها يُؤخَذُ عنوة إلى المدرسة التي أصبحت بمثابة العذاب المقنن للطفل، وواحدة من الإكراهات المتعددة المبرجة والمجر على التعاطي معها، دون رحمة أو شفقة أو اعتبار لسنه الصغيرة ليقضي فيها حوالي 8 ساعات لتنتقل رحلة العذاب بمحفظه وزن كيلوغرامات عديدة، ليجد نفسه مرغماً على مواجهة مختلف مظاهر الضغط الناجم عن كثافة وتعقيد المنهج الدراسي الذي يتجاوز قدراته وطاقاته المادية والمعنوية، في ظل إقصاء شبه كلي للأساسيات التي يحتاجها كالترفيه والراحة والرياضة وخاصة الألعاب الجماعية والمنافسات التي تكفل له النمو النفسي والعقلي والاجتماعي.

إذن، فمن اجل مرافقته ولتفادي النتائج السلبية التي قد تنتج عن محاولات اقتلعه غصباً، وبالتالى يحتاج الأمر إلى استحضار مختلف الفاعلين الاجتماعيين والنفسيين والمصممين العصريين وحتى إدراج الأطفال المعنيين لأجل إعداد السياسات الحضرية التي تعمل على تصميم وإعداد المجال الحضري الذي يستوعب الطفل المعاصر ويقدم له بديلاً أفضل حتى يتخلص من قيود الشاشات الزرقاء والعودة إلى احضان الطبيعة وممارسة حقه الطبيعي في النمو والحركة والاستمتاع بكل حقوقه.

وقد سجلت المدينة الجزائرية إخفاقات متتالية وإهمالاً كبيراً في تجسيد مجال الطفل في المدينة، فأزمة السكن أجبرت التوجه الحكومي لرسم مختلف السياسات نحو توفير أكبر قدر ممكن من السكنات في مقابل اهمال كلي لجودة المنتج وغياب التكافؤ في انجاز التجهيزات والمرافق الحضرية الضرورية (بغريش، 2010) وخاصة مجالات الطفل رغم ما تكتنفه من أهمية قصوى.

وتشير العديد من الدراسات التي تناولت فضاءات الطفل في العديد من المدن الجزائرية إلى صورة سلبية ومُحِبَّة ومُهْمَلَة لمجال الطفل وأنه كان أكثر المغيين في السياسة الحضرية ومنها على سبيل المثال لا الحصر نذكر دراسة بلميلود محمد الأمين بعنوان التشريعات والمعايير التخطيطية في الحفاظ على بيئة الطفل الحضرية، دراسة ببيمون كلثوم، المعنونة ب: أي حضور لحضور لعب الطفل في المدن الجزائرية في ضوء تحديات الثقافة الحضرية، وكذلك دراسة بوقيرين مفيدة وعلقمة جمال المعنونة بمجال لعب الأطفال في المدن الجديدة بين التخطيط و الواقع حالة الوحدة الجوارية رقم 07 بالمدينة الجديدة علي منجلي، دراسة نرجس بناني، المعنونة بمحاولات خلق مساحات صديقة للطفل داخل المجال الحضري دراسة حالي: زواغي سليمان/ الوحدة الجوارية 18 علي منجلي.

وقد تعرضت مختلف هذه الدراسة على اختلاف زمانها ومكانها للمجال المهين للطفل في المدينة الجزائرية. وقد أشارت إلى وجود محاولات بدأت تفرض نفسها بتميزها لكن المؤسف الملاحظ أن السياسة الحضرية تفتقر إلى التوجه الصريح نحو تخصيص مجال للطفل، وإنما يُشار إليه في إطار الفضاء المخصص للعائلات عامة.

وهنا تأتي أهمية صياغة سياسة حضرية لبناء مدينة حاضنة موجهة للطفل، المؤمنة بقدراته المحفزة لعقله وحواسه وعواطفه، واثاحة المجال له لممارسة الانشطة الضرورية المهمة في حياة الطفل، التي تسهم في تطوره العقلي، الذهني والعاطفي.

لكل في خضم هذه الاختلالات، صار حتمياً مراعاة الطفل في التخطيط الحضري والتي تعني التخطيط للمستقبل، ووضع الرؤى الاستشرافية، وأن النجاح في إعداد مجال يليق بالطفل هو معيار لنجاح مختلف السياسات لنظراً للصعوبة التي يكتنفها الأمر بالرغم من البساطة التي ننظر إليها أنه يمكن خداعه بسهولة أو التلاعب به، لأن مستقبه ومستقبلنا ومستقبل المدينة يقوم على ذلك، لأننا نتعامل مع طفل بريء لن يحتج على ما يعرض عليه أو ما تم توفيره له مهما كان بديهاً أو مرفوضاً لكنه للأسف سيكون له أثراً كبيراً في تكوينه وإنشاءه وإعداده للمستقبل.

فاعمل وفق المفهوم الشامل لصياغة سياسة حضرية مستدامة بإسقاطها على بيئة الطفل بجعلها بيئة حضرية أفضل توائم رغبات الطفل وطموحاته، بيئة صحية آمنة تراعي جمالية المكان بصرياً ووظيفياً.

تقوم على الاعتناء بالبيئة الحضرية للطفل بدء من المسكن بإعداد مجال خاص له مدروس بعناية، ثم المدرسة على اعتبار أنه أكثر مكان يقضي فيه الطفل وقته، وحتى الشوارع، والممرات والفضاءات المفتوحة، والخضراء وغيرها، وخاصة الحي الذي يعتبر مختبر التفاعل الاجتماعي الأهم في حياة الطفل، وبالتالي فالتهيئة الجيدة يبدأ من الإعداد الأمثل للمسكن، فالمدرسة وحي ثم الملاعب الخاصة.

5. اعتبارات مجالات الطفل في السياسات الحضرية بمدينة قسنطينة:

سعت السياسة الحضرية إلى ترقية المجال الحضري وتطويره ومحاولة مواكبة متطلبات المواطن مع تضمين الاعتبارات الاجتماعية في حسابات التخطيط الحضري، وقد توالى المخططات التي تعتبر واحدة من الآليات التي تستعين بها السياسات الحضرية في تنظيم المجال الحضري على غرار مخططات التهيئة العمرانية ومخطط شغل الأراض، ويعتبر قانون 29 - 90 الصادر في 1-12-1990، واحد من المخططات التي تضمنت الفضاءات العمومية، والمساحات الخضراء وكذلك المؤرخ في 12 / 1 / 1990 المتعلق بالتهيئة والتعمير حيث أن المادة رقم 31 منه والمتعلقة بتحديد مهام شغل الأراض، قد أغفلت ذكر فضاءات اللعب ضمن المجالات التي يحددها محتوى المخطط والمتمثلة في الفضاءات الراحة والمساحات الخضراء، وكذا قانون 03 / 10 والذي شدد -بالإضافة إلى ما جاء في ما سبقه- على حماية البيئة وتحسين الإطار المعيشي في إطار الاستدامة بما من شأنه ان يحسن من جودة الحياة الحضرية في جانبه الأخضر، ليأتي قانون 2006/06/06، او ما يعرف بالقانون التوجيهي للمدينة والذي يمكن اعتباره أهم قانون تضمن اشارات واضحة إلى الاهتمام بالجانب الاجتماعي واعتبار أن العنصر البشري رأسمال المجتمع، داعياً إلى إيلاء اهتمام أكثر بالوحدة الحضرية والتماسك الاجتماعي والاهتمام بالخصائص السوسيو- ثقافية، والاعتناء بمجالات الترفيه وفضاءات الاستجمام التي تعتبر من أكثر المطالب وأهمها في المجال الحضري. (بغريش، 2020).

لكن ورغم التقصير الواضح في تخصيص وتعيين مجالات الطفل بلغة واضحة وصریحة في المخططات المعلنة، إلا أنه يمكن معرفتها مجرد الإشارة إلى أماكن اللعب وفضاءات الاستجمام الراحة والبيئات الآمنة لأنها تعتبر مقصد العائلات وأطفالهم وبالتالي يمكنهم الاستفادة منها وهم المعني الاول بها. وفي هذا السياق تشير الوقائع الميدانية إلى تنامي الجهود المبذولة في مجال الاهتمام بالاعتناء بالمساحات والفضاءات الموجهة للأطفال، وما المبادرات التي تم التخطيط لها أو إنجازها على مستوى مدينة قسنطينة إلا دلالة على ذلك، على غرار تهيئة حديقة باردو الايكولوجية، إعادة تهيئة غابة المريج، إنشاء وإعادة تهيئة العديد من مساحات لعب الاطفال على مستوى الكثير من أحياء المدينة عدا عن فتح صالات لعب بمستويات عالية التأهيل عبر العديد من مناطق الولاية، وهو مؤشر ايجابي على بداية التوجه نحو الاعتناء بمجالات خاصة بالطفل.

وبين المخططات التي اعتنت بهذا الجانب نذكر: (بن فوغال، م، 2021: 65)، المخطط الوطني لتهيئة الإقليم (SNAT): عبر برنامج العمل الإقليمي 11 التجديد الحضري وسياسة المدينة: لآفاق سنة 2030، وكان يهدف إلى إقامة مدينة جزائرية نوعية تنافسية، جذابة ومستدامة وقادرة على الاستجابة لحاجيات سكانها والمساهمة في ثقافة حقيقية وهوية حضرية، وذلك من خلال تضمين العمل على ترقية مدينة مستدامة، ضمان الإنصاف وتجديد الشكل الحضري، تكييف المدينة مع متطلبات الأنشطة الاقتصادية، حماية و تهمين الأنظمة البيئية الحضرية، وضع المدينة خارج المخاطر، التحكم في التسيير الحضري، محاربة الإقصاء والتهميش وتأهيل المناطق الحضرية ذات العوائق. تتحقق هذه الاستراتيجية من خلال هيكلية النسيج الحضري وتهيئة الفضاءات العمومية، طرق ومساحات خضراء، إعادة الاعتبار للفضاءات العمومية واستصلاحها وصيانتها.

- تهمين المساحات الخضراء في المدينة بواسطة الصيانة وإنشاء حظائر وحدائق من خلال تشجير المساحات الحضرية بواسطة تهمين المساحات غير المعمرة، وقد جاء في مبادئه الأساسية للتخطيط:

- إنشاء مساحات خضراء للاسترخاء والاستجمام تحافظ على البيئة وتعطي بعض الجمالية للمنطقة وتسمح للسكان بالاستمتاع بوسائل الراحة في هذه المناطق.

- تكتيف وإعادة هيكلة التجمعات القائمة للحفاظ على المساحات الزراعية والطبيعية عن طريق الحد من التوسعات الحضرية.

- الحماية الإلزامية للبيئات الزراعية والغابات من خلال دمج الاهتمامات البيئية في برنامج التنمية.

-الحفاظ على المواقع السياحية وتعزيزها من خلال خلق مناطق استقبال جذابة للسكان الباحثين عن هذه الخدمات.

6. المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير PDAU : ينص الجانب التشريعي لمخطط التهيئة والتعمير على:

- أن مصطلح المساحات الخضراء يشمل جميع الانجازات الحضرية الخضراء مثل الغابات والمتنزهات والحدائق والمساحات وحتى المزارع المحاذية للمجال العمراني.

- هذه المساحات المخصصة للاسترخاء و الترفيه لصالح مدينة قسنطينة يمكن تطويرها بطريقة طموحة وفق استراتيجية جيدة ومتنوعة، مما يسمح لسكان المدينة بالاستفادة الكاملة منها على المدى القصير.

- يتم استخدام الأراضي غير المستقرة والمنحدرة بشدة كمساحات خضراء أو مدينة ألعاب.

- يتم تجهيز هذه المجالات لتكون مفتوحة للمستعملين ومجهزة بمعدات جماعية مخصصة لألعاب الأطفال والاسترخاء أو التأمل لصالح سكان المدن.

- يجب أن تكون محمية من الطرق ذات الاستعمال الكبير للسيارات (تدفق كبير).

- يجب إنشاء مواقف للسيارات عند مداخل هذه الفضاءات لاستيعاب السيارات.

- يجب إنشاء ممرات للمشاة ومسارات للدراجات للسماح بالسير واللعب في هذه المناطق.

-المساحات الحرة: يجب تحويل هذه المساحات إلى مساحات خضراء للاسترخاء والمشى، في ساحات مجهزة أو مناطق لعب للأطفال.

- يجب ضمان إمدادات مياه الشرب والصرف الصحي لأي مبنى موجه للاستخدام السياحي أو أي نشاط آخر متوافق مع السياحة وفقاً للأنظمة المعمول بها. (بن فوغال، م، 202: 74)

7. واقع مجالات بيئة الطفل في مدينة قسنطينة:بالإضافة إلى ما سبق، فإن مدينة قسنطينة كمتروبول محط الاهتمام من قِبَل السلطات العليا، وتعتبر محور اهتمام كبير في السياسة الحضرية الوطنية، تشهد منذ حوالي العشرينين تحولات ضخمة على المستوى المحلي والديموغرافي عامة، حيث ان تحويل الفئات السكانية نحو المدن الجديدة والتوجه نحو جعل وسط المدينة مقصد سياحي سمح بإنجاز مشاريع تنموية كبيرة نذكر منها تلك الموجهة لصالح الأطفال والتي لاقت استحساناً كبيراً تجاوز صدها البعد المحلي منها حديقة باردو الايكولوجية التي تعتبر صرحاً سياحياً، بيئياً وجد في الاطفال ضالتههم وقد دُعِمَ باستثمارات الخواص الذي قدموا إضافة ترفيهية جيدة للأطفال هذا الصرح ذو البعد البيئي الجمالي الفريد يتربع على مساحة تزيد عن 70 هكتار بغلاف مالي تجاوز المليار دج حسب مسؤولي الهيئات المحلية، بالإضافة إلى تهيئة غابة المريج التي تتربع على مساحة 30 هكتار مهيئة من بين 220 هكتار مساحات غابية ، حيث أصبحت مقصد للعائلات والأطفال الباحثين عن الراحة والاستجمام بين أحضان الطبيعة بعد أن تم تهيئتها لهذا الغرض وتوفير الامن والتاثير اللازمين. إضافة إلى غابة البعراوية وغيرها من الاماكن الغابية الطبيعية المميزة، كما تم إعادة تهيئة ساحة دنيا الطرائف بويط المدينة، عدا عن تشييد حديقة التسلية الصنوبر لاند، الحديقة المائية بعلي منجلي الكثير من قاعات الألعاب بمقاييس عالمية على غرار ماجيكت لاند ببوالصوف، ميقلالاند التي توفر عدة فضاءات مخصصة للاطفال عبر مختلف المراكز التجارية الكبرى بالمدينة.

بالإضافة إلى التوجه نحو إنشاء المدارس النموذجية التي تعتبر خطوة جدا ايجابية تحتسب للمهتمين بمجال تربية وتثقيف الطفل واعداده للمستقبل بما يتواءم والمقاييس العالمية.

وبالتالي يمكن التأكيد على ان مدينة قسنطينة تسعى بخطى ثابتة نحو جعل مدينة قسنطينة مدينة صديقة عبر الاهتمام أكثر بالمجال الاخضر حيث بات أخيرا بإمكان العائلة القسنطينية خيارات متعددة للاستجمام والراحة بعد أن كانت تضطر للتنقل إلى الولايات المجاورة لأكثر من 70 كلم مثل سكيكدة وجيجل لتحض بقسط من الراحة والاستجمام، لكن الفرق صار واضحا والمجهودات المبذولة بدأت تنضج ثمارها وفائدتها صارت واضحة للعيان، ولاقت استحسان المواطنين.

الخلاصة:

إذن، ومن منطلق أن الأطفال هم دعائم مستقبل الأمة، بهم ترتقي إلى مصاف الدول المتقدمة التي تقوم على أساس احترام حقوق الانسان والتي يعتبر الطفل إحداها إن لم نقل أهمها، لأن إبداء العناية والاهتمام بالطفل معناها أن هذه الأمة تعني بمستقبلها وتقوم على الرؤى الاستشرافية وتخطط لمستقبل واعد انطلاقا من اليوم، ولأن الاهتمام بالحلقة الأضعف يعني بالتأكيد أن هذا المجتمع لا ينفك عن الاهتمام بكل تفرعات المجتمع.

وبالتالي فالتعامل مع الطفل في الوقت الحالي يتطلب التجاوب مع اهتماماته وتطلعاته من اجل مرافقته لتفادي النتائج السلبية التي قد تنتج عن محاولات اقتلعه غصباً وبالتالي ضرورة استحضار مختلف الفاعلين الاجتماعيين والنفسانيين والمصممين العصريين وحتى الأطفال المعنيين لأجل إعداد السياسات الحضرية التي تعمل على تصميم وإعداد المجال الحضري الذي يستوعب الطفل المعاصر ويقدم له بديلاً أفضل حتى يتخلص من قيود الشاشات وضغط الكبار، والعودة إلى احضان الطبيعة وممارسة حقه الطبيعي في النمو والحركة والاستمتاع بكل حقوقه.

وبناء على ما سبق فإننا نستنتج أن السياسة الحضرية للمدينة الجزائرية سجلت اهتماماً متزايداً بمجالات الطفل في الوسط الحضري وأن البدايات التي حققتها على الواقع بالنسبة لمدينة قسنطينة مثلاً، لاقت استحساناً وقبولاً، وفتحت آفاقاً واعدة بقدرتها على تحقيق نتائج مرضية للأسرة والطفل والمواطن عامة، وبالتالي ضرورة المواصلة مع الأخذ بعين الاعتبار النقاط التالية:

- ينبغي تكثيف الجهود بين مختلف الفاعلين لخلق بيئة حضرية متوازنة للطفل تبدأ من البيت وتنتهي بالحاضنة الثانية وهي المدرسة مروراً بالحي الذي يعتبر جزء مهم في حياة الطفل للتعلم والنمو.

- تخطيط بيئة حضرية مستدامة تستجيب لمتطلبات الطفل في التربية والتعليم والتكوين المستدام.

- الاهتمام بتخصيص فضاء داخل المسكن يطل على الحي يتسم بالاتساع وحرية الحركة لأن طفل المدينة تجده دائماً منحصر في زاوية مغلقة ضيقة ومسيجة بالحديد، بمثابة السجن الإداري، في ظل الخوف عليه من اللعب خارج المنزل والتعرض للعنف اللفظي والجسدي.

- ضرورة التركيز على إنجاز المربعات السكنية المغلقة والأمنة بالنسبة للطفل، لتفادي دخول الغرباء.

- تكثيف الجهود بين الاهل وجمعيات الأحياء والهبات الحلبية لتأنيث وترتيب داخل هذه المربعات وتخصيصها للأطفال كفضاءات ترفيهية تعليمية.

- العمل على تخصيص ملاعب صغيرة محروسة ومؤطرة من قبل مشرفين مختصين محاطة ومحروسة للأطفال في مستوى المتوسط والثانوي تشمل ممرات ركوب الدراجات، ملاعب صغيرة متعددة التي تستهوي الأطفال في هذا العمر على اختلاف اهتماماتهم مثل كرة القدم وكرة السلة وكرة اليد والكرة الطائرة، على ان تكون مؤطرة ومنفصلة عن الملاعب الجوارية للكبار.

- الاهتمام بخلق مدرسة جذابة، حاضنة ومحتوية للطفل على اعتبار ان طفل المدينة الجزائرية خاصة يقضي أطول وقت بالمدرسة مع حرمان كلي من اللعب ومظاهر البهجة والمرح وبالتالي انعكاس سلبي على مستوى الجسد والنفس.

- جعل المدرسة مكاناً أفضل للطفل وتفضيل كفة الأنشطة اللاصفية وتكثيف المسابقات والرياضات التنافسية خاصة الجماعية بتخصيص مجال للملاعب المدرسة لمختلف الرياضات والأصناف العمرية.

- ضرورة التعاون بين وزارة التربية والتعليم ووزارة الشباب والرياضة والعمل خلق بيئة رياضية في كل المراحل التعليمية والتي تسمح بالتأكيد:

* من خلق مناصب العمل لخرجي الجامعات في تخصص الرياضة.

* اكتشاف المواهب الرياضية لصقلها وتدريبها والاهتمام بها منذ الصغر.

* جعل المدرسة مكان محب للطفل يتضمن التعلم والترفيه والمنافسة.

* حماية الطفل من الآفات الاجتماعية كالتسرب المدرسي، المخدرات والجريمة، لتمكينه من تفريغ طاقاته وتحويلها من سلبية إلى ايجابية.

- تفعيل وتقريب المراكز الثقافية وتدعيمها بالأنشطة التي تثير اهتمامات الأطفال فأغلب المراكز شاغرة وأقتصر أغلبها تقديم دروس الدعم وبعض الأنشطة التي تبعث على نفور الأطفال أكثر من جذبهم.

- إنشاء مدينة الأطفال على غرار المدينة المائية والمدينة الرياضية وغيرها في كل مدينة على الأقل، حيث تتضمن مساحات خضراء شاسعة ومساحات تعليمية تربية ترفيهية، تقاطع أو تتكامل برامجها مع المدرسة وتنظيم أنشطة لا صفية للأطفال فيها

- تنمية روح الابتكار والابداع لدى الاطفال، ودعم جيل مثقف ومنفتح للتطور العلمي والتكنولوجي. بعيداً عن خطر الهواتف النقالة ومواقع التواصل التي تقتل روح الإبداع

- ترسيخ قيم وثقافة المجتمع لدى الاطفال والتعرف على الثقافات الاخرى، وتنمية روح التنافس الايجابي عدا عن توفير متنفس ترفيهي للأطفال لتغيير جو المناهج الخائفة.

وفي النهاية تبقى الغاية الأسمى هي السعي للعمل المتواصل على تشييد مدينة متكاملة ومتجانسة تضمن التجانس الاجتماعي، الاقتصادي البيئي، المدينة المتجانسة: وهي المدينة التي تضمن التجانس الاجتماعي، الاقتصادي البيئي، والمجالي بين مختلف النشاطات الحضرية وإنعاش التركيبة الحضرية بهدف تصحيح الاختلالات الحالية.

وفيما يلي مجموعة صور توضح بعض الأماكن الأكثر ملائمة للعائلات وبالتالي للأطفال والتي تعتبر مقصد آمن وفي متناول مختلف الفئات والتي سعت من خلاله الهيئات المحلية في إطار صياغة سياسة حضرية تصب في قالب تهيئة المجال الحضري وتنمية الإطار التروي التثقيفي الترفيهي للطفل والعائلة وتحقيق مقاصد السياحة الداخلية المنتهجة من قِبَل السلطات العليا للبلاد.

الصورة (1) : حديقة باردو



الصورة (2) : منتزه غابة المريج



الصورة (3) : حديقة التسلية الصنوبر لاند



الصورة (4) : حديقة التسلية الصنوبر لاند



الصورة (5) : إحدى المدارس النموذجية

الإحالات والمراجع:

1. بغريش ياسمينه. (2020)، محاضرات في السياسات الحضرية، ألفا للتوثيق، الجزائر.
2. بن فوغال مريم (2021)، مجالات الترفيه واقعها ومكانتها في التخطيط الحضري، دراسة حالة مدينة قسنطينة، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد تسيير التقنيات الحضرية جامعة قسنطينة 3.
3. سيوي، مروة وحامد والديب غادة محمد (2017) التخطيط كوسيلة لتحقيق المدينة الصديقة للطفل في مصر، دراسة حالة لمدينة الإسكندرية، مجلة الأبحاث الحضرية، مجلد 23، ص ص 56 – 78.
4. سيسيليا فاكا جونز ونابله سري الدين، (2023) التخطيط الحضري الصديق للطفل: مدن مثالية للجميع، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: <https://hbrarabic.com/>
5. العيسوي عبد الرحمن،(2000)، التربية النفسية للطفل المراهق، دار الراتب الجامعية، الطبعة 1، بيروت، لبنان.
6. كركوش فتيحة (2011)، سيكولوجية الطفل ما قبل المدرسة، ديوان المطبوعات الجامعية الطبعة 2، الجزائر.
7. المعهد العربي لإنماء المدن (2014)، المجلس العربي للطفولة والتنمية. الموقع الإلكتروني: <https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2014/10/16/604691.html>
8. موقع ويكيبيديا تعريف الطفل: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
9. منتدى الحدائق من أجل الكوكب، الطفل في المدينة: منتدى الحدائق من أجل الكوكب الطفل في المدينة: الصحة والحدائق واللعب مقال منشور على الموقع الإلكتروني التالي - https://www.salzburgglobal.org/fileadmin/user_upload/Documents/2010-2019/2017/Session_574/ARABIC_Statement_574_Child_in_the_City
10. قانون إنشاء المدن الجديدة وتميئتها. (2002) رقم 08-02 المؤرخ في 25 صفر عام 1423 الموافق 8 ماي المتعلق بشروط الجريدة الرسمية 34.
11. قانون التهيئة العمرانية. (1987) رقم 87-03 المؤرخ في 27 جمادى الأولى عام 1407 الموافق 27 يناير المتعلق الجريدة الرسمية العدد 05
12. القانون التوجيهي للمدينة. (2006) رقم 06/06 المؤرخ في 21 محرم عام 1427 الموافق ل 20 فيفري.